فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه

(بواعثها-مظاهرها-آثارها-سبل مواجهتها)

إعداد

د. عمر بن سالم العمري

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

العام الجامعي:

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

فتنة استمالة الجمهور و السعي في مراضيه

(بواعثها-مظاهرها- آثارها- سبل مواجهتها؛ عمر بن سالم العمري.

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية،

كلية الدعوة وأصول الدين،

الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: ٩٠٠٥٢٩@iu.edu.sa

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى الوقوف على فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه، من خلال معرفة (بواعثها- مظاهرها- آثارها- سبل مواجهتها)، وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي، ومن أهم نتائج البحث: شدة خطر فتنة استمالة الجمهور على الدعاة، وغفلة بعض الدعاة عن النصوص المحذرة من فتنة استمالة الجمهور، وانطلاق بواعث فتنة استمالة الجمهور من التعلق بالدنيا والركون إليها، وتنوع مظاهر فتنة استمالة الجمهور وكثرة الانزلاقات المنهجية فيها، وكثرة آثار فتنة استمالة الجمهور على الدعوة والدعاة وشدة ضررها، ومن أهم توصيات البحث: إقامة المؤتمرات والندوات التي تعالج أحوال الدعاة وترتقي بهم، وإثراء البحوث المتعلقة بالدعاة بالمشكلات المعاصرة وإيجاد الحلول الشرعية لها، وحث الدعاة على التعاون فيما بينهم لإيجاد الحلول العلمية المناسبة للضغوط الجماهيرية، ومناصحة الدعاة حينًا بعد آخر على أن تكون المناصحة متسمةً بالأدب والوضوح والشَّفافية، ورفع كفاءة الدعاة وتأهيلهم لئلا يقعوا في مثل هذه المنزلقات الخطيرة.

الكلمات المفتاحية: الدعوة، الدعاة، الثقافة الإسلامية، الجمهور، الفتن.

The temptation of attracting the public and seeking it through (its motives - its manifestations - its effects - the ways to confront it)

Omar bin Salem Al-Amari

Department of Dawah and Islamic Culture, College of Dawah and Fundamentals of Religion, Islamic University of Madinah, Kingdom of Saudi Arabia.

E-mail:؛

Research Abstract:

The research aims to determine the temptation of attracting the public and seeking it through knowledge of (its motives - its manifestations – its effects - the ways to confront it). Whereas, the researcher followed the descriptive approach.

Among the most important results of the search: The severity of the danger of sedition by attracting the public to the Islamic preachers, neglect of some Islamic preachers to the texts warning against the temptation of attracting the public, launch the motives for temptation that attract the public from attachment to the world and relying thereon, the diversity of the manifestations of temptation attracting the public, the many effects of temptation by attracting the public to the Dawah and Islamic preachers, and the severity of its damage.

Among the most important research recommendations: Hold conferences and seminars that address the conditions of Islamic preachers and develop them, enrich research on Islamic preachers with contemporary problems, and find sharia solutions thereto, urge Islamic preachers to cooperate with each other to find appropriate scientific solutions to public pressure, always advise Islamic preachers, provided that the advice must be polite, clear and transparent, and raise the efficiency of Islamic preachers, and qualify them so that they do not fall into such dangerous slides.

Keywords: Dawah, Islamic Preachers, Islamic culture, The Public, Temptations.

المقدمة

الحمدُ لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وسلَّم تسليماً كثيراً ثم أما بعد:

فإن الإسلام دين الجماعة، والأصل في المسلم الاختلاط بالناس ومعاشرتهم، ونصوص الكتاب والسنة تؤكد ذلك، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:« المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يُخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[1]، وهذا شأن الأنبياء عليهم السلام فقد خالطوا الناس، وارتادوا أمكانهم وتجمعاتهم حتى زلزلوا الباطل في قلوبهم، ونزعوه من عقولهم، ولم يزالوا يُأثرون فيهم حتى استجابت نفوسهم وآمنوا بربهم.

ومعلومٌ أن دعاة الحق يسيرون على منهاج النبوة، فالمخالطة في حقهم أوكد من غيرهم فما من شك أن العلم أو الهدى لا يسري إلى الناس من تلقاء نفسه، ولكنه مفهوم يطبقه ويحمله ويدعو إليه العالم والداعية وأهل الفضل، ولذا كان لزاماً لسيادة الحق وبلوغه الآفاق أن يحمله دعاة مخلصون، فبالمخالطة يتمكن الداعية من الاطلاع على معتقدات الناس ومناهجهم وأحوالهم، ومِنْ ثَّمَّ يدعوهم ويصحح معتقداتهم، ويقوّم مناهجهم، ويعالج أحوالهم، لكن في هذه المخالطة بعض المنزلقات الخطيرة التي توهن الدعوة وتفتُّ في عضدها، وتسيء للدعاة وتفسد أعمالهم، ومن أهمها: فتنة استمالة الجماهير

(١) أخرجة ابن ماجة في سننه، كتاب: الفتن، باب: الصبر على البلاء، برقم ٤٠٣٢، ١٣٣٨/٢، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، برقم ٤٠٣٢، ٣٢/٩.

لحظوظ شخصية، وتكثير سوادهم، والرضوخ لأهوائهم والانصياع لمألوفاتهم، والرغبة في الاستحواذ على رضاهم، وتوجيه التعاليم الإلهية بالشكل الذي يريدونه ويسعون له، وهي فتنة شديدة على الدعاة، فلطالما حذر الله سبحانه نبيه ﷺ والرسل من قبله من الوقوع بها لخطورتها وسوء عاقبتها -كما سيأتي-، وإن لم يعتصم الدعاة بالله ثم بالصبر ومدافعة النفس الأمارة بالسوء فسيقعون في شِراكِ هذه الفتنة العظيمة.

ولا شك أن من أعظم مداخل الشيطان على الدعاة الاحتجاج بمصلحة الدعوة ونصرة الإسلام، فيجعلهم يتنازلون عن بعض الحق، ويتهاونون في بعض الوسائل المحرمة طلبًا للمصلحة المزعومة، ولَكَمْ أُرتُكِبت باسم مصالح الدعوة من انحرافات؛ فالانحراف الطفيف في أول الدعوة ينتج عنه انحرافات عظيمه في نهايتها، ولذا ينبغي على الدعاة الثبات على الحق ولو خالف أهواء الناس وآرائهم، والحذر والتحذير من هذا الفتنة، والالتزام بالمنهج القويم الذي ينهى عن اتباع أهواء الجماهير، والترفع بمقام الدعوة عن هذه المهالك وسفاسف الأمور، فلا تستدرجهم الحشود، ولا تُفرض عليهم الوصايا وأنصاف الحلول، ولا يتنازلوا عن المبادئ الإسلامية العليا لأجل إرضاء الخلق بسخط الله، وتحقيق بعض المآرب الشخصية، ولا يتأتَّى ذلك إلا بأن يكون منهج الداعية منبثقًا من الوحي كتابًا وسنةً وفق فهم سلف الأمة؛ إذ ليس في الدنيا أصلح من منهاج النبيين عليهم السلام.

ولأهمية هذا الموضوع وشدة خطره على الدعاة، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر عزمت على الكتابة فيه، واجتهدت في جعله مُتسمًا

بالوضـوح والمكاشـفة والشَّـفافية قدر الاسـتطاعة، رغبةً في النصـح والارتقاء بالدعاة، وسـعيًا في إزالة الشـوائب التي تؤثر عليهم دُنياً ودين، وجعلته موسـومًا بـــ(فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه – بواعثها– مظاهرها– آثارها– سبل مواجهتها) والله أسأل أن يجنبنا مضلات الفتن إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أهمية البحث، وأسباب اختياره:

تظهر أهمية البحث من خلال ما تقدم، اضـــافةً إلى موضـــوعه، والذي يمكن تحديد بعض جوانب أهميته في النقاط الآتية:

١– ما يشهده الواقع المعاصر من تساهل بعض الدعاة في استمالة الجمهور واتباع رغباتهم.

٢– ما يتردد من أصوات تنادي ببعض التنازلات بحجة فقه الواقع والمصلحة المتوهمة.

٣– ما يُؤمل من استنقاذ الدعاة من هذه الفتنة، والسعي إلى تحصينهم عن أمثالها.

٤– المشاركة في الدفاع عن المنهج القويم في الدعوة إلى الله، وربط الدعاة به.

٥– الإسهام في سد الثغرات التي تشكك في الدعاة وتنسف جهودهم.

٦– الحد من انكفاء بعض الدعاة عن القيام بواجبهم الدعوي بحجة عدم القدرة على مواجهة الجمهور.

٧– المشاركة في البحوث العلمية التي ترتقي بالدعاة وتعالج مشكلاتهم.

٨– الحاجة المجتمعية للدراسات التأصيلية التي تلامس الواقع المعاصر.

أهداف البحث :

تناول هذا البحث هدف رئيس هو: الوقوف على فتنة اســـتمالة الجمهور والسعي في مراضيه، وذلك من خلال الآتي:

١-بيان النصوص المحذرة من فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه.

٢- إيضاح أهم الشُّبة المتعلقة بفتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه.

٣-معرفة أهم بواعث فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه.

٤-ذكر أهم مظاهر فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه.

٥-إبراز أهم آثار فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه.

٦-معرفة أهم سبل مواجهة فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

تظهر مشـكلة البحث الأسـاسـية في وقوع بعض الدعاة تحت وطأة أهواء الجماهير، والسـعي في مراضـيهم، وتكثير سوادهم، وانتقاء النصـوص التي تزيد من تعاطفهم، والنزول بمقام الدعوة إلى ما لا يليق من المصـالح الشـخصـية، والرغائب الدنيوية، والسقوط في هُوةِ الحرص على المناصب ومراكز النفوذ، مما يستدعي وجود مكاشفةً تتسم بالوضوح والشَّفافية، حتى يتم دحض هذه الفتنة والمسـارعة في إجهاضـها لئلا تفتُّ في عضُـد الدعوة والدعاة، وقد أجاب هذا البحث على تساؤل رئيس هو: ما فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه؟ ويتفرع عن هذا التساؤل الآتي:

١-ما أهم النصوص المحذرة من فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه؟
٢- ما أهم الشُّبة المتعلقة بفتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه؟
٣-ما أهم بواعث فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه؟
٤-ما أهم مظاهر فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه؟
٥-ما أهم آثار فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه؟
٦-ما أهم سبل مواجهة فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه؟

حدود البحث:

تتمحور الحدود الموضوعية لهذا البحث في الوقوف على فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه، من خلال معرفة (النصوص المحذرة منها- بواعثها- الشُّبة المتعلقة بها- مظاهرها- آثارها- سبل مواجهتها)، وذلك وفق ما جاء في خطة البحث.

مصطلحات البحث المبهمة:

الجمهور: بالضم الرَّملة المُشرفة على من حولها، ومن الناس: جُلُّهُمْ، ومُعظَمُ كل شيء[1]، وهم يشكلون السواد الأعظم من الناس في أي مجتمع بشري؛ لأنهم مزيج من الرجال والنساء والأطفال، كما يكونون من الطبقات

(١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ١٤٩/٤.

العامة والمتوسطة التي تباشر مختلف أنواع الحرف والمهن، والمقصود بهم في البحث المدعوين من أُمتَيْ الدعوة والإجابة[١].

الدراسات السابقة:

من خلال اطلاع الباحث على فهارس الرسائل الجامعية المتوفرة[٢]، وكذا مراكز البحث[٣]، والمكتبات الرقمية، لم يقف على دراسة علمية تعرضت لموضوع بحثه الحالي بشكل مستقل ومباشر، إلا أن هناك بعض الدراسات فيها إشارات إلى جزئيات البحث دون استيعابه، ومن أهم هذه الدراسات ما يمكن بيانه من خلال العرض الآتي:

وقاية الداعية من معيقات الدعوة كأمراض القلب والنفس، دراسة في الآثار الدعوية والاجتماعية، للباحث د.حسن محمد فضل المولى، وهو بحث محكم تقدم به الباحث إلى جامعة غرب كردفان، عام ٢٠١٣م، وقد تحدث فيه في المطلب الأول عن المنهج الإسلامي في تحديد أمراض القلب والنفس واللسان، وتناول في المطلب الثاني المنهج الإسلامي في وقاية وتحصين قلب الداعية ونفسه ولسانه، وهو بعيد عما تناوله هذا البحث لا من حيث العنوان، ولا من حيث الخطة التفصيلية.

---

(١) ينظر للاستزادة: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، لحمود الرحيلي، ص١١٠.

(٢) مثل : فهرست جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وجامعة طيبة بالمدينة المنورة .

(٣) مثل مكتبة الملك فهد الوطنية ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .

مجالات الإعداد والتأهيل في العمل الدعوي، للباحث د.طالب أحمد الهمامي، وهو بحث محكم تقدم به الباحث إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ٢٠١٨م، وقد تحدث في المبحث الأول عن الإعداد والتأهيل العلمي والفكري والمهاري، وتناول في المبحث الثاني الإعداد والتأهيل في المجال الأخلاقي، وفي المبحث الثالث تحدث عن الإعداد والتأهيل في الوسائل والأساليب، وهذا البحث وإن كان في تقويم الدعاة وتأهليهم إلا يختلف عما تم تناوله في هذا البحث.

خطة البحث: انتظم البحث في مقدمة وستة مطالب وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة وفيها: توطئة–أهمية البحث وأسباب اختياره –أهداف البحث –مشكلة البحث وتساؤلاته–حدود البحث – مصطلحات البحث –الدراسات السابقة– خطة البحث–منهج البحث.

المطلب الأول: النصوص المحذرة من فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه

المطلب الثاني: الشُّبة المتعلقة بفتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه.

المطلب الثالث: بواعث فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه.

المطلب الرابع: مظاهر فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه.

المطلب الخامس: آثار فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه.

المطلب السادس: سبل مواجهة فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه.

منهج البحث:

أتى هذا البحث وفق المنهج الوصـــفي: وهو المنهج الذي يعتمد على وصف ظاهرة من الظواهر، ومتغيراتها كما هي في الواقع، للوصول إلى وصفها وصفاً دقيقاً لمعرفة أسبابها، والعوامل المؤثرة فيها، واستخلاص النتائج لتعميمها كدليل(؛).

بالإضافة إلى أن الباحث سينتهج في كتابة بحثه الآتي:

١/ عزو الآيات القرآنية إلى مواضـــعها في المصـــحف، وذلك بذكر اســم السورة ورقم الآية مع كتابتها بالرسم العثماني.

٢/ تخريج الأحاديث الآثار، فإن كان الحديث في الصـــحيحين أو أحدهما اكتفي به، وإن كان في غيرهما قام الباحث بتخريجه مع ذكر أقوال العلماء في بيان درجته.

٣/ الإحالة إلى المراجع والمصادر الأصلية ما أمكن.

٤/ التعريف بالمصطلحات العلمية إن وجدت في البحث.

٥/ عدم ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في البحث؛ لئلا يُثقل الهامش، وطلباً للاختصار.

٦/تأجيل ذكر دار النشـــر، وســـنة الطبع إلى قائمة المصـــادر والمراجع لعدم التكرار، ولئلا يُثقل الهامش.

٧/ الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط بالشكل ما أمكن.

المطلب الأول

النصوص المحذرة من فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه

إن المتأمل لآيات القران الكريم يتعجب من كثرة تنبيه المولى عز شأنه لنبيه الكريم ﷺ من الوقوع تحت وطأة استمالة الجمهور وأهوائهم، فإذا كان التحذير والتنبيه موجها إلى أكمل الخلق إيماناً وعملاً ودعوةً، فكيف بمن دونه في المنزلة والتسديد والرعاية.

والعمل في ميدان الدعوة يحتاج إلى صبر ومجاهدة، فمن أعظم الفتن التي تحيط بالدعاة الصراع مع أهواء المدعوين، وكسب رضاهم وتعاطفهم، وكثرة التنبيه والتحذير من الله تعالى لنبيه ﷺ مرةً بعد مرة دليل على أهمية التبصر بهذه الفتنة، والصبر عليها، ومجاهدة النفس في البعد عن حبائلها، فَلَكَمْ زلت فيها من قدم، وتعثرت فيها من نيات، ولقد تعددت النصوص المحذرة من هذه الفتنة العظيمة ومن أهمها:

* قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ﴾[1]، فهم على أتم الاستعداد للدخول في دين الإسلام مقابل التنازل عن بعض الوحي الذي لا يناسبهم، لكن الله تعالى خاطب نبيه الكريم قائلاً: واحذر يا محمد هؤلاء اليهود الذين جاءوك محتكمين إليك أن يفتنوك، فيصدُّوك ويصرفوك بمكرهم وكيدهم عن بعض ما أنزل الله إليك من حكم كتابه، فيحملوك على ترك العمل به، واتّباع أهوائهم

(١) سورة المائدة: الآية ٤٩

الفاسدة المعارضة للحق بدلاً عما جاءك من الحق فتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير[1].

والصحيح من أقوال أهل العلم أن النبي ﷺ لم يركن إلى المشركين، بل ولم يخطر ذلك بذهنه عليه الصلاة والسلام كما قد يتبادر للبعض عند تلاوة هذه الآية، يقول القرطبي رحمه الله:« كان رسول الله ﷺ معصومًا ولكنَّ هذا تعريفٌ للأمة لئَّلا يركنَ أحد منهم إلى المشركين في شيء من أحكام الله تعالى وشرائعه»[2].

فهذا الخطاب التحذيري وُجِّه إلى أتقى الخلق وأخشاهم لله، وفي هذا أبلغ درسٍ للدعاة وأهل الفضل ممن يميلون عن الحق اتباعًا لأهواء الناس، ويتنازلون عن بعض الحق بحجة تقريب وجهات النظر وتأليف القلوب، فشاء الله أن يَحسم هذا الأمر، وأن يقطع الطريق على الرغبة البشرية الخفية في التساهل والتسليم لرغبات الجماهير، ومن أبى وأصر فلا يلومن إلا نفسه، وليرقب فتنةً تغشاه ليس لها من دون الله كاشفة.

وفي الآية الحذر والتحذير من تدليس الأعداء وتلبيسهم؛ لأن العدو قد يظهر الحق في قالب قد يخدع به الناس، ولكنه يريد شيئًا آخر وهو تلبيس الحق بالباطل كاليهود وأشباههم من دعاة الضلالة، فقد يتظاهرون بقصد الحق

---

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري ٣٩٣/١٠، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ٢٣٤/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٣٠٠/١٠.

وطلب الحق، ولكنهم يلبسونه بالباطل، ويخدعون من استطاعوا خديعته حتى يقع في الباطل، فالوجب الحذر من مكائد الأعداء ومقاصد الخصوم الباطلة، ولا يخلو مجتمع من هذا النوع من الناس، فتجدهم يقفون في وجه دعوة الحق والدعاة إليه، إما بدافع من الكبر أو حب الرئاسة على الناس، وخوفهم أن تسلبهم هذه الدعوة الإصلاحية مركزهم القائم في المجتمع، وفي الحق سعادة الجميع لو عقلوا، ولكن أكثر الخلق يتبع هواه، وإن كان فيه هلاكه ودماره لقلة بصيرته وضعف تمييزه وإيثاره العاجلة(١).

* ومن النصوص كذلك قوله تعالى:﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴾(٢)، وقد اختلف أهل التأويل في الفتنة التي كاد المشركون أن يفتنوا بها رسول الله ﷺ عن وحي الله إلى غيره، ومما قيل في ذلك: أنها نزلت في وفد ثقيف، فقد أتوا النَّبي ﷺ فسألوه شططاً قائلين: متِّعنا بآلهتنا سنةً حتى نأخذ ما يُهدى لها، وحَرِّم وادينا كما حرَّمت مكة، فَهمَّ النبي ﷺ أن يوافقهم لما أرادوا فنزلت الآية(٣).

وعلى كل حال فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالمشركون واليهود كانوا يحاولون جهدهم أن يستنزلوا النبي ﷺ على شيء من الحق الذي يأمر به ويدعو إليه مكراً منهم وخديعة، إذ لو وافقهم على شيء لطالبوا بآخر، ولقالوا قد رجع

(١) ينظر: مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، أشرف على جمعه وطبعه محمد الشويعر، ٧٦/١، بتصرف.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٣

(٣)ينظر: معالم التنزيل، للبغوي، ١١١/٥، فتح القدير، للشوكاني، ٣٥٥/٣.

إلى قولنا، فهو إذًا يَتَقَوَّل من عنده، وليس يُوحى إليه شيء؛ بدليل قبوله منا كذا وكذا، وتنازله عن كذا وكذا، ومعنى الآية الكريمة: أن الكفار قاربوا أن يُزلونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره مما لم نوحيه إليك، وإذا لاتخذوك حبيبًا صفيًا، فقد خطر في قلبه ﷺ أن يوافقهم في بعض ما أحبُّوا ليجرَّهم إلى الإسلام لشدة حرصه على إسلامهم(١).

وقد بين القرآن في الآية التي تليها مباشرة أن هذا الاستسلام لنفوذ المخاطبين ورغباتهم كان خطراً فعلياً على النبي ﷺ لولا العصمة الإلهية، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾(٢)، فإذا كان نفوذ المدعوين كاد أن يبلغ تأثيره سيد المرسلين لولا العصمة الربانية فكيف يأمن من دونه ذلك؟

ومعنى الآية الكريمة: لولا أن ثبتناك على الحق، وامتننا عليك بعدم الإجابة لداعيهم، لقد كدت تميل إليهم شيئا قليلا من كثرة محبتك لهدايتهم، ولو ركنت إليهم بما يريدون لأصبناك بعذاب مضاعف في الحياة الدنيا والآخرة وذلك لكمال نعمة الله عليك، وكمال معرفتك به، ثم لا تجد من ينقذك مما يحل بك من العذاب، ولكن الله تعالى عصمك من أسباب الشر، ومن البشر؛ فثبتك

(١)ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٢٩٩/١٠، أضواءالبيان، للشنقيطي، ٣٣٤/١٨.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٤-٧٥.

وهداك الصراط المستقيم، ولم تركن إليهم بوجه من الوجوه، فله عليك أتم نعمة وأبلغ منحة[1].

ولم تزل آيات القرآن الكريم تصف ما كان يلاقيه نبي الهدى ﷺ من جماهير الدعوة، وتبين إصرارهم على المحاولة في تبديل الوحي أو تغيير بعضه، عازمين على ذلك بمعاونة أشياعهم من أهل الضلالة، ومن ذلك ما حكاه الله عنهم في سورة يونس في قوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾[2]، فقد سألوا النبي ﷺ أن يحول الوعد وعيدًا، والوعيد وعدًا والحلال حرامًا والحرام حلالًا، وقيل: سألوه أن يُسقط ما في القرآن من تعييب آلهتهم وتسفيه أحلامهم، وقيل: سألوه إسقاط ما فيه من آيات البعث والنشور[3].

وهكذا تمضي آيات الوحي القرآنية تؤكد مرة بعد أخرى للنبي الكريم ﷺ عن عظم خطر هذه الفتنة التي تُذكِيها أهواء المدعوين وضغوطاتهم، كما في قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[4]، ثم توالت الردود الإلهية المزلزلة على هذه الآية وأمثالها في آيات متفرقة من كتاب الله، ومن ذلك قوله

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ٤٦٣/١.

(٢) سورة يونس: الآية ١٥.

(٣)ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٣١٩/٨.

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٨.

تعالى:﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾(١)، وقوله:﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٢) ، وقوله:﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾(٣).

وهذه القاعدة من أهم القواعد القرآنية التي تؤصـــل للدعوة وتقوّم الدعاة، والمواضع الذي تُنبّهُ الداعية على خطر الاستسلام لرغبات الجماهير كثيرة جداً في كتاب الله، ومن تدبر هذه المواضـــع وتأمل معانيها، ووقف على مواطن تكرارها والإشارة إليها، واستوعب مشقة مواجهة أهواء الناس على النبي الكريم وأمته من بعده؛ استبان له سبب إيراد الله سبحانه لمقام الصبر بعد الأمر باتباع الوحي، كما في قوله:﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ﴾(٤)، فما أحوج دعاة الحق إلى الصـــبر عند مواجهة رغبات المدعوين، والصـــبر على حظوظ النفس والمكاسب الدنيوية التي قد تتحقق بالاستجابة لأهواء المخاطبين.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٥

(٣) سورة الرعد: الآية ٣٧

(٤) سورة يونس: الآية ١٠٩

وليس الأمر يقف عند هذا الحد بل الدعاة وأمثالهم مطالبون بقدر زائد على الصبر والمجاهدة، وهو الاعتزاز بمضامين الوحي وتعاليم الشريعة الغراء، وعدم الحرج منها، كما في قوله تعالى:﴿ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

المطلب الثاني
الشُّبة المتعلقة بفتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه

إن المتأمل في حال الدعاة في العصر الحاضر يجد أن بعضهم قد وقع تحت وطأة رغبات الجمهور طمعًا في هدايتهم وصلاحهم ونجاتهم، مما يقوده إلى تأويل النصوص باتجاه رضاهم، وهذه من أهم الشبه التي يتدرَّع بها بعض الدعاة عند وقوعه في هذه الفتنة، وهي بلا شك مما يروج في سوق الدعوة وميادينها، وتُعدُّ من المزالق المنهجية العريضة التي لا يُستهان بها، وسيتم الاقتصار عليها لأهميتها وطلبًا للاختصار؛ فحسن النية ليس مسوغًا لارتكاب المنهيات الشرعية، والغاية عند أهل السنة لا تبرر الوسيلة كما هو معلوم، والمأمول من دعاة الحق التواصي والتناصح والأخذ على يد المخطئ للهدى والرشاد، ومن الواجب الشرعي بيان هذه الشبهة وكشف عوارها لئلا تندثر السنة وتعم الفتنة، فهل نُبْل المقصد وصلاح النية في طلب هداية الجماهير يكفيان في قبول العمل والحكم بصحته؟

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢.

والجواب: أنه لا يخفى على طالب علم أن النية تؤثر في العمل؛ فتحول المباح إلى قربة، والطاعة إلى معصـــية لمن أراد بها الدنيا، لكنها لا تحول المعصية إلى طاعة، والبدعة إلى سنة، فالنية الصالحة لا تصلح العمل الفاسد بحال.

وقد جاءت الأدلة الشرعية في التأكيد على هذه القاعدة في مواطن متعددة؛ فهذا أبو بردة ﷺ تعجَّل فذبح أضـــحيته قبل صـــلاة العيد، مع العلم أنه لا يريد بهذا الاستعجال سوى المبادرة إلى الخير، والمسارعة إلى العمل الصالح كما قال:« عرفت أن اليوم يوم أكل وشـرب، وأحببت أن تكون شـاتي أول ما يذبح في بيتي، فذبحت شاتي وتغديت قبل أن آتي الصلاة» ولكن لما كان ذبحها في غير الوقت الشرعي لم تقبل منه على أنها أضحية وقال له رسول الله ﷺ:«شاتك شاة لحم»[1] أي: لا شاة أضحية، وفيه أن العمل وإن وافق نية حسنة لم يصح إلا إذا وَقَعَ على وفق مراد الشرع[2].

وفي هذا الحديث العظيم درس عظيم ومُلهم للدعاة إلى الله تعالى، وذلك من حيث كيفية تعاملهم مع الجمهور الدعوي، حينما يتدرَّعون بحســـن النوايا والرغبة في الخير مع مخالفة أعمالهم للشـــريعة؛ فقد تجلَّى فيه حرص النبي ﷺ على بيان الشـــرع وإيضـــاحه بحكمة وحزم، حيث لم يأخذ برغبة أبي بردة ولم يوافقه على ما أراده، ولم تُثْنِهِ نِيتهُ الصـالحة باسـتعجال الخير والمسـارعة فيه عن بيان الحق والصـــدح به، وعلى الدعاة الاقتداء بهديه ﷺ والمبادرة إلى ربط

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأضاحي، باب قول النبي ﷺ لأبي بردة ضحِّ بالجذع من المعز ولن تجزي عن أحد بعدك، برقم ٥٥٥٦، ١٠١/٧.

(٢) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ١٤/١٠.

الناس بقواعد الشـــرع، وعدم تأخير البيان عن وقت الحاجة، ومعالجة مثل هذه المواقف بحكمة وعزم وحزم.

وأيضًـــا من حيث مراقبة الدعاة لنياتهم الشـــخصـــية ومدى موافقتها لمراد الشرع، فليس كل نية صـالحة كافية في قبول العمل وصـلاحه، فلابد من النظر في مدى موافقة العمل لقواعد الشـــرع وأصـــوله، فمثلاً الرغبة في هداية الناس ليسـت مسـوغًا لأن يتنازل الداعية عن بعض الحق، أو يسـير في دائرة رغبات الجماهير وأهوائهم، وإنما يجب عليه الحرص على هدايتهم والعمل بما يحقق هذا المقصد مع مراعاة الوسائل والأساليب التي توافق الشريعة ولا تتجاوزها.

وقد ضـــرب النبي ﷺ لنا مثلاً في غاية البلاغة يخبرنا فيه بأن النية الصـــالحة لوحدها ليســـت محمودة على كل حال؛ وقد تذم في بعض المواطن لأنها تؤدي إلى عواقب وخيمة، ونتائج مؤلمة، فقال عليه الصـــلاة والســـلام:« مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم اسـتهموا على سـفينة؛ فأصـاب بعضـهم أعلاها وبعضـهم أسـفلها، فكان الذين في أسـفلها إذا اسـتقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصـــيبنا خرقًا، ولم نؤذِ من فوقنا، فـإن يتركوهم ومـا أرادوا هلكوا جميعًـا، وإن أخـذوا على أيـديهم نجوا ونجوا جميعًا»[1].

فهذا المثل الذي ضربه النبي ﷺ من الأمثال التي لها مغزى عظيم، ومعنى عميق، فالناس في دين الله كالذين في سـفينة تتقاذفهم الأمواج، فصـار بعضـهم في أعلاها وبعضهم في أسفلها لكي تسعهم السفينة وتتوازن فإذا أراد طائفة منهم

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، برقم ٢٤٩٣، ١٣٩/٣.

بنية حسنة أن يخرقوا في نصيبهم خرقًا لئلا يؤذوا من فوقهم، فإنه يجب أن يأخذوا على يديهم ويمنعوهم لينجوا جميعًا، وإن لم يفعلوا هلكوا جميعًا[1].

ويستفاد من الحديث أنه مهما تعلل بعض الدعاة بأن مقصدهم من خرق سفينة الدعوة بالتنازل عن بعض الحق والاستسلام لأهواء الناس وشهواتهم، هو الرغبة في هدايتهم وصلاحهم، ودفعًا لشرهم واتقاءً لمناهضتهم للدعوة والدعاة، فإن ذلك ليس مصححًا لعملهم، ولا مبررًا لاستخدام مثل هذه الوسائل والأساليب، ولا مانع من اعتبار فعلهم منكرًا يجب صدُّه والنهي عنه، فالله سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا صوابًا موافقًا للشريعة.

وما أحسن كلمة ابن مسعود ﷺ لأصحاب الحِلَق الذين أحدثوا طريقة مبتدعة في الذكر لا دليل عليها إلا إرادة الخير فقال لهم:« وكم من مريد للخير لن يصيبه»[2]؛ لكون فعلهم لم يضم إلى حسن النية حسن الاتباع .

فتأمل كيف أنكر ابن مسعود ﷺ على أصحاب الحلقات، مع أنهم في حلقة ذكر ومجلس عبادة، فهو لم ينكر عليهم ذكرهم لله واشتغالهم بذلك، وإنما أنكر عليهم مفارقتهم للسنة في صفة أدائه، وكيفية القيام به مع أن الألفاظ التي كانوا يذكرون الله في بها ألفاظ صحيحة وردت بها السنة، فكيف الحال بمن ترك

---

(١) ينظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ١٢/٧، شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ٢٢١/١، بتصرف.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه، باب في كراهية أخذ الرأي، برقم ٢١٠، ٢٨٦/١، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٢٠٠٥، ١٢/٥.

السنة في ذلك جملةً وتفصيلاً، لا من حيث الصفة ولا من حيث الأداء؛ كالأوراد التي يقرؤها بعض الناس بصيغ مختلفة وأساليب متنوعة، مما هو متضمن لأنواع من الباطل وصنوف من الضلال؛ كالتوسلات الشركية والألفاظ البدعية والأذكار المحدثة[1]، وفي هذا دليل على أن العبرة ليست في كثرة العبادة والذكر والدعاء وإنما العبرة في موافقة ذلك كله للسنة.

ويتبين مما سبق أن عمل الدعاة وغيرهم لا يكون حسنًا حتى تكون نية صاحبة خالصة لله، ويكون مع ذلك موافقًا للسنة المطهرة، ومتى فقد أحد هذين الشرطين فهو باطل مردود، والدعاة منقسمون بحسب هذين الشرطين إلى أربعة أقسام[2]:

(القسم الأول: أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة، وهم عادة الحق وأهل إياك نعبد حقيقةً، فأعمالهم كلها لله، وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله، ومنعهم لله، وحبُّهم لله، وبغضهم لله.

القسم الثاني: من لا إخلاص له ولا متابعة، فليس عمله موافقًا للشرع، وليس هو خالصًا للمعبود، كالدعاة المتزينين للناس، المرائين لهم بما لم يشرعه الله ورسوله، وهؤلاء شرار الخلق وأمقتهم عند الله.

---

(١) ينظر: فقه الأدعية والأذكار، لعبدالرزاق البدر، ٥١/٢.

(٢) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ٨٣/١، بتصرف.

القســـم الثالث: من هو مخلص في أعماله لكنها على غير متابعة وموافقة للسـنة، كمن يدعو إلى الله بلا تأهيل ولا تأصـيل، ومع ذلك يعتقد صـواب فعله وأنه يقربه من ربه.

القســـم الرابع: من أعماله على المتابعة لكنها لغير الله؛ كطاعة المرائين فتجده يـدعو ليُقـال، ويطلـب العلم ليُقـال، ويقرأ القرآن ليقـال؛ فهؤلاء أعمـالهم ظاهرها الصلاح، وباطنها خلاف ذلك فلا تقبل).

ويتبين مما ســبق أن نيات الدعاة الحســنة في هداية الناس، والرغبة في صـلاحهم، ومحبة الخير لهم إن لم تسير في طريقها الذي رسمته لها الشريعة فلا قيمة لها ولا يلتفت إليها، فليست العبرة بالنية فحسب، وإنما العبرة بالإخلاص وموافقة الصــواب مع المتابعة، ولقد أدرك الســلف الصــالح هذا الأمر وطبقوه ودعوه إليه، يقول الفضيل بن عياض رحمه الله:« إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صـواباً لم يقبل، وإذا كان صـواباً ولم يكن خالصـاً لم يقبل، حتى يكون خالصـاً صواباً، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة، ثم قرأ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[1]»[2].

ويقول ابن القيم رحمه الله:« العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمســـافر يملأ جرابه رملاً ينقله ولا ينفعه»[3]، فهو ليس له من هذا الجراب وهذا الحمل إلا التعب، فمن حمل التراب على ظهره فإن ذلك لا ينفعه؛ لأنه لا نفع فيه، ومن

(١) سورة الكهف: الآية ١١٠.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للأصفهاني، ٨/٩٥. الفوائد، لابن القيم ص٤٩.

(٣) الفوائد، لابن القيم ص٤٩.

أدعى بعد ذلك أنه يلبي رغبات المدعوين، ويوافق أهواءهم طمعاً في هدايتهم وصلاحهم، فنقول له هذه النية لا تُشرِّع العمل وتجعله صالحًا، ولابد أن تقترن النية الصالحة بالمتابعة للسنة المطهرة، وإلا فالعمل مردود ممقوت لمخالفته شرطي قبول العمل.

المطلب الثالث

بواعث فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه

قد يكون الباعث على الاستسلام لنفوذ المدعوين وتلبية رغباتهم، الركون إلى الدنيا والغفلة عن الآخرة، والرغبة في الحصول على المكاسب الدنيوية من مال ومنصب وجاه وجمهور، ولكن هناك بواعث أخرى تحتاج إلى مزيد من التفصيل والإيضاح، ومن أهم تلك البواعث والأسباب الآتي:

أولاً: الجهل وضعف التحصيل العلمي؛ فالجهل يُعمي ويُصم، والجاهل عدو نفسه وسبب في بلاء غيره، فبعض أدعياء العلم مع قلة بضاعته في التأصيل والتأهيل تجده يتصدر المجالس والقنوات مفتيًا ومستشاراً، ولا أضر على الأمة من أمثال هؤلاء الذين تسمع منهم جعجعة ولا ترى طحنًا، ولا يستغرب انزلاقهم تحت وطأة رغبات الجماهير وأهواءهم؛ إذ ليس لديهم من العلم ما يرون به الصواب من الخطأ، وفي شأن هؤلاء وأشباههم يقول ابن تيمية رحمه الله: «وليحذر العبد من مسالك أهل الظلم والجهل، الذين يرون أنهم يسلكون مسلك العلماء، تسمع من أحدهم جعجعةً ولا ترى طحنًا، فترى أحدهم أنه في

أعلى درجات العلم، وإنما هو يعلم ظاهراً من الحياة الدنيا، ولم يَحُمْ حول العلم الموروث عن سيد ولد آدم ﷺ»[1].

والبعض منهم قد يكون لديه بعض التحصيل لكنه لم يَنَلْهُ بسبيل مستقيم، فأخْذه للعلم ليس على قواعد أهل العلم والبصيرة، بل على طرق أهل الأهواء والبدع، فكيف ترجى حال من هذا مسلكه وطريقه، فالعلم النافع هو علم الكتاب والسنة وفق فهم سلف الأمة، بعيداً عن التلبيسات المكسوّة بالفصاحة والزخارف اللفظية، فيكون بذلك فتنة للذين لا يعلمون، وفي أمثال هؤلاء يقول ابن القيم رحمه الله: «أن يأتي به صاحبه مموَّهًا، مزخرف الألفاظ، ملفَّق المعاني، مكسوًّاً حلَّة الفصاحة والعبارة الرشيقة، فتسرع العقول الضعيفة إلى قبوله واستحسانه، وتبادر إلى اعتقاده وتقليده»[2].

وحري بالداعية الموفق أن يطلب العلم ويجتهد فيه، فمن خلاله يعرف جادته الصحيحة، وبدونه ستعظم جنايته على الدين والأمة، إذ كيف يكون دليلاً إلى الشريعة من لا يعرف الشريعة، وإذا كان الداعية لا يحمل من العلم شيئًا كان في تنصيبه لحمل لواء الدعوة فساد للأمة، فأمثاله – إلا من رحم الله– سيكونوا مطيةً خانعةً لرغبات الجماهير وأهواءهم، فتجده متشوفًا لما يطلبه الجمهور، ومتشوقاً لالتفاف الناس من حوله، فيتكلم بالتحريف، ويَلّي أعناق النصوص، ويُدخل في دين الله ما ليس منه.

---

(١) الاستغاثة في الرد على البكري، لابن تيمية، ص٧٤.

(٢) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، ٤٣٦/٢.

ثانيًا: الحرص على المنصب والمال؛ فالمنصب والمال منن دواعي الشرور، وبواعث القتن؛ لأنها تجرُّ الداعية إلى مزالق خطيرة في باب أهواء الناس، حيث يدفعه الحرص عليهما إلى التنازل عن الحق، والبحث عما ينشده الجمهور ويرتضيه، ولو قاده ذلك إلى الافتراء على الشرع، والقول على الله بلا علم؛ فغالب من آثر الدنيا من أهل الدعوة والعلم واستحبها؛ لابد أن يقول على الله غير الحق في دعوته وفتواه وحكمه؛ لأن أحكام الرب سبحانه كثير ما تأتي على خلاف أغراض الناس، ولا سيما أصحاب المناصب وأهل الشهوات الخفية، فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيرًا، فإذا كان الداعية طامعًا في المنصب والمال، متبعًا للأضواء والحشود؛ لم يتم له ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق، ولا سيما إذا قامت له شبهة، فتتفق الشبهة والشهوة الخفية ويثور الهوى، فيخفى الصواب وينطمس وجه الحق، وإن كان الحق ظاهرًا لا خفاء به ولا شبهة فيه أَقدَمَ على مخالفتِهِ وقال: لي مخرج في التوبة والله المستعان.

وفي هؤلاء ومن شايعهم يقول تعالى:﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[1] فأخبر سبحانه أنهم يعتاضون عن بذل الحق ونشره والدعوة إليه بعَرَض زهيد من سَقْطِ متاع

(١) سورة الأعراف: الآية ١٦٩

الدنيا مع علمهم بتحريمه، ويسرفون على أنفسهم في هذا الباب ويَعِدُونها بالتوبة، وإن عَرَضَ لهم عَرَضَ آخر من دراهم معدودة ومنصبٍ زائل أخذوه؛ فهم مصرون على ذلك ولا يستطيعون عنه انفكاكًا ولا انعتاقًا؛ لأنهم في عداد الأسرى بين فَكَّيْ المنصب والمال، وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا ما يعلمون بطلانه، وأمثال هؤلاء لابد أن يبتدعوا في الدين مع تعلقهم بالدنيا وتقصيرهم في العمل، فتجتمع فيهم الشرور ولا غرو؛ فإن الطمع بالمنصب والمال يعميان القلب، وينخران في إيمان الداعية؛ ولا يزالان يستدرجانه إلى ملذات الدنيا وشهواتها حتى لا يستطيع أن يميز بين المطعم الحلال والحرام.

ومن كان هذا حاله فلا يستغرب من استخدامه كافة الوسائل والأساليب التي تُحقق مبتغاه ولو كانت محرمة؛ فتجده يبتر النصوص ويقطعها عن متمِّماتها ومكملاتها، وينزعها من مناسباتها وأسبابها، فيقلب المعاني رأسا على عقب، حتى يلتبس الحق بالباطل، وأما أهل التقوى والصلاح من الدعاة فيعلمون أن الدار الآخرة خير من الدنيا؛ فلا يحملهم حب المنصب والمال على أن يؤثروا الدنيا على الآخرة، مستعينين بالله في مواجهة هذه الفتنة ، ومستمسكين بالكتاب والسنة، ومدركين حقارة الدنيا وإدبارها وانقضاءها، ونعيم الآخرة وإقبالها ودوامها[1].

ثالثًا: التحزب؛ فسُعار الحزبية محرق، وسمها قاتل؛ فكم عطَّلت من معروف وسنة، وعززت لمنكر وبدعة، وكلما ازداد الداعية إغراقًا في الحزبية

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤٩٨/٣، فوائد الفوائد، لابن القيم، ص٢٤٣.

ازدادت معه فرصة الإفراط في تلبية رغبات الجماهير، طمعًا في تكثير سواد الحزب، وخوفًا من فوات مصالح الحزب المزعومة، حتى تتحول الحزبية إلى سيفٍ مُسلطٍ على رقبة الداعية، بحيث يصعب عليه التخلص من سطوة المدعوين، وسائر المحبين الذين يتآلف معهم، وتجمعه وإياهم المصالح والأهداف الحزبية المشتركة.

وقد يتطور الأمر بحيث تنشأ الخلافات التناحرية بين الأحزاب، ويتم في سبيل ذلك تنازع مواطن النفوذ، وتعظم المنافسة في تكثير الأتباع، والسعي في كسب المزيد من الأفراد لهذا لحزب أو ذاك، ولن يتم ذلك إلا بمزيد من التنازلات، والرضا بالمنكرات، والمسارعة في تحقيق الرغبات والله المستعان(١).

وكلما كان الداعية بعيدًا عن التحزب وأهله، وأكثر تحرراً من قيود أهواء المدعوين، كلما كان أكثر قربًا من الحق والسنة، وهذا قد يعلل شجاعة السلف الصالح في الحق وثباتهم عليه بحيث لا تأخذهم في دين الله لومة لائم؛ فهم لا ينتمون إلى حزب، ولا تقودهم جماعة، ولا تُسَيِّرهم حشود، وإنما مرجعهم الكتاب والسنة.

رابعًا: السخرية والاستهزاء؛ فهما من أقدم أساليب التأثير على الدعاة والمصلحين، وذلك لأن النفوس البشرية بطبعها تتألم حال السخرية والاستهزاء، وتحاول جاهدة تجاوز لحظات الإهانة والتسفيه، ومواطن التهكم والاستخفاف، فتجد بعض الدعاة يجتنبون إثارة بعض القضايا، ويغضون الطرف عن بعض

(١) ينظر: موسوعة البحوث والمقالات العلمية، لنايف الشحود، ص١-١٤-٢٢ بتصرف.

المنكرات، ويتسامحون في بعض المسائل الشرعية، تحاشيًا للسخرية والنقد، وهروبًا من التَّندر والتجريح، ولقد نبَّه الله سبحانه الأنبياء والمرسلين عليهم السلام على استغلال أعداء الدعوة لهذا الأسلوب، كما في قوله جل من قائل:﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴾[2].

خامسًا: اليأس والهزيمة النفسية؛ فاليأس والهزائم النفسية لدى الدعاة من أشد وأنكى أنواع الهزائم، فترى أحدهم إذا رأى الأيام تمضي، والسنين تتعاقب، والناس معرضين، والشرور تزداد، والثمرة محدودة، غلبه اليأس والقنوط والإحباط، وبدأ يتقاعس عن القيام بواجبه الشرعي، وانكفأ على مصالحه الشخصية، وأصبح يُهب للعمل الدعوي فضل وقته لا أفضله.

والبعض الآخر يستعجل ثمرة دعوته، ويرجوا النتائج لتضحياته، وينشد مخرجات مهمته؛ مما يقوده إلى التساهل مع المدعوين، والسقوط تحت وطأة أهواءهم ورغباتهم أملاً في استجابتهم، وطمعًا في هدايتهم، وغفل أمثال هؤلاء عن أهم معالم الدعوة في المنهج النبوي وهو الفأل وعدم اليأس، فالداعية القائم بدعوته وفق المنهج القويم لا مكان لليأس في طريقه، رغم كل العوائق والعراقيل،

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠

(٢) سورة الرعد: الآية ٣٢.

ورغم كل المصاعب والتحديات، فأنبياء الله عليهم السلام ضربوا أروع الأمثلة في الفأل وحسن الظن بربهم، وجسَّدوا لأممهم المعاني الكبرى للصبر وعدم اليأس من أقوامهم، وفي هذا شدًّا لعزائم الدعاة، ورفعة لمعنوياتهم(١).

المطلب الرابع

مظاهر فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه(٢)

إن التقرب من الجماهير من قبل بعض الدعاة بحثًا عن المصالح الشخصية، وسعيًا للحصول على أكبر عدد من الأتباع، ومسابقةً في التصدر بين أفراد المجتمع، وحرصًا على القوائم العريضة من المكاسب الدنيوية، تنتج عنه عدة مظاهر يندى لها الجبين في ميدان الدعوة، والتي من أهمها:

أولا: التفكك الدعوي، فالأصل أن يتكاتف الدعاة إلى الحق، ويتعاونوا على البر والتقوى، ويطبقوا قيم الإخاء العليا فيما بينهم، ويوحدوا صفوفهم في مواجهة أرباب المنكر وأدعياء الباطل، ويتجاوزوا الظنون الآثمة، والتخرُّصات المتوَهَّمة، ويأخذوا على أيدي المحرِّشين والمثبطين، ويطفئوا فتيل الفرقة والشقاق، ويجمعوا أمرهم على كلمة سواء لينشروا الإسلام وينصروا السنة.

لكن ومع الأسف أن هذه الأصول تلاشت بين بعض الدعاة، حتى أصبحت هذه الفريضة غائبة في مسيرتهم، ودبَّ بينهم الصراع والتهافت على

---

(١) ينظر: علم الدعوة إلى الله تعالى، محمد الشهراني، ص٢٩٥، بتصرف.

(٢) هذه المظاهر من رؤية الباحث، والمقصد منها التمثيل والاستشهاد لا الحصر والاستقصاء.

صـيد الجماهير، ونسـب المشـاهدات، وأرقام المتابعين، وأخذ كل منهم يسـعى لنيل مصـالحه ومتطلباته، ويعمل على التفاف الناس حوله وذيوع صـيته بينهم، ويحاول التسـلق على أكتاف منافسـيه، ويسـعى لاقتناص الفرص التي تَثْلُبُ أقرانه، ومن كان هذا حاله لن يلتفت إلى روابط الأُخوَّة الـمُثلى، وأواصر المحبة العليا، وسـيزْهد في لَمّ شـمل الدعاة، وهو ما يزيد من جراح الأمة التي تتلقفها الفتن من كل حدب وصوب.

ثانيًا: التهريج الدعوي، فتجد بعض الدعاة قد أسـاء فَهْمَ التَّبسـط مع المدعوين وملاطفتهم، والتودد لهم، وحسـن الخُلُق معهم، وأخذ يتسـارع في محاولة كسـب تعاطفهم والتأثير عليهم، إلى أن يؤول به الأمر إلى السـقوط في هاوية التهريج، والانحدار في مسـالك المزاح الممجوج، مما يقوده إلى الولوغ في مسـتنقعات الكذب، فيفقد الجِدّية، ويهبط بمقام الدعوة إلى ما لا يليق، ولا يزال كذلك حتى تُنسـب إليه هذه الصـفة المذمومة، فلا يُعرف إلا بها، ولا يُتابع إلا من أجلها، ويظن أنه قد أحسن من حيث أساء.

ولا تزال الجماهير تغمره بسـيلٍ جارفٍ من الخطابات المؤيدة، والكلمات المحفزة على الاستمرار في هذا النفق المظلم، حتى يجد نفسه بعد سنوات على بعد آلاف الأميال من مقاصد الدعوة الأصيلة، وأهدافها السامية النبيلة، فلا دينًا أقام، ولا أثراً نافعًا أبقى، ولا صـدقةً جاريةً عن نفسـه أمضـى، وإنما حصـيلته قصـصٌ فكاهيةٌ، ومسـامراتٌ مسـائيةٌ، ومزيجٌ من المواضـيع التي تضـيع الوقت وتقتله، دون الوصول إلى أدنى مقومات العمل الدعوي القائم على منهاج النبوة، والمتمثل في نصـح الأمة وربطها بالكتاب والسـنة، والارتقاء بها إلى مقامات

العبودية للرب تبارك وتعالى، والنهوض بها إلى ما تَسْمُوا إليه هِمَمُ أُولي الألباب والنُهى، والبعد بها عن مهاوي الردى وسفاسف الأمور.

والجماهير وإن مالوا لأمثال هؤلاء في بعض الأزمنة والأوقات إلا أنهم تقودهم العواطف في نهاية المطاف والتي تعصف بهم مرةً بعد أخرى، فما يرونه أول النهار حسنًا، قد ينقلب ظهراً على عَقِبْ عند المساء، وقد يتفاجأ من سلك مسلك هؤلاء الدعاة بانقلاب الناس عليه، وقدحهم فيه، واستنقاصهم لأسلوبه وطريقته دون مبررٍ ولا إنذار، ومن كانت الجماهير تقوده يمنياً وشمالاً سيؤول به الأمر إلى العزلة والانقطاع عن الدعوة، وما هذا إلا لمخالفته المنهج القويم في الدعوة إلى الله تعالى.

ثالثًا: الترف الدعوي، فالأصل أن العمل الدعوي محفوف بالمشقة، ومملوء بالمجاهدة والمصابرة، ومرتكز على طلب ما عند الله والدار الآخرة، لكن هذه الأصول منعدمة في قواميس بعض الدعاة، فالأصل في دعوتهم الترف والاستجمام، والتلذذ بالحياة المخملية، مع مزيد من الامتيازات حال السفر والإقامة الخارجية، فينشد الدرجة الأولى، ويطلب الفندق الفاخر، ويُؤجِّر السيارة الفارهة، ويغدو بموكب ويجيء بآخر، ولربما رفض الحضور لعدم فخامة المكان، ولقلة الجمهور، وقد يتطور الأمر ببعضهم بحيث يمزج بين الترف والاستثمار، فدعوته عبارة عن مشاريع شخصية، وتجارات وعقارات تجرُّ عليه مبالغ طائلة، حتى يصبح الفقر الذي كان يعيشه خبرًا بعد عين.

ولا يعني هذا تحريم ما أحل الله عياذًا بالله، وإنما المخزي أن يكون ما مرَّ آنفًا بطلبٍ منه وإيعاز، وحري بالداعية الحصيف أن يأخذ ما يُعينه – إن كان

مضطراً – دون مبالغة وبلا طلبٍ واشتراط، وأن يحتسب ذلك عند الله تعالى، فلقد حكى الله عن أنبيائه عليهم السلام أنهم لا يسألون الناس أجراً، ولا يبتغون مالاً وسلطانًا، ولا ينشدون مكانةً ومنزلةً، وإنما يقومون بأداء ما أوجب الله عليهم بأكمل الوجوه وأتمها طمعًا في رضوان الله وسعيًا في مرضاته، وهذا من أعظم مرتكزات الدعوة التي يجب على الدعاة الالتزام بها وتطبيقها؛ لأن التساهل بذلك مظنة الضياع الدنيوي، والإفلاس الأخروي.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، فهذه المساوئ تجرُّ إلى ما دونها عند أمثال هؤلاء؛ فتجده ضعيف العزيمة قويَّ الوهن عند عرضه لأصول الإسلام وعقائده، بحيث يقتصر على العرض المجرد، وتخلو ردوده من الأدلة المُلزمة، والحُجة القاطعة، مع تكراره وترديده بين فقرة وأخرى لمضامين التسامح والوسطية والتيسير مع أن الحديث لا علاقة له بهذه المضامين السامية، وذلك كله مخافةَ سلْبِهِ بعض الامتيازات، أو فشله ببعض المشاريع، أو خسارته لبعض الأموال والله المستعان.

رابعًا: التَسْيِسُ الدعوي، فبعض الدعاة لا يزال يحرص على المنصب والجاه، ويَرْقُبُ قيادة الناس، ويَتوقُ إلى فرض ذاته على الجماهير، حتى ينسلخ من جِلباب الدعوة، ويقتحم دهاليز السياسة من حيث يشعر أو لا يشعر.

فالدعوة التي تهدف إلى قيادة الجماهير، وتُراعي أهواء الناس ورغباتهم، وتقصد المكاسب الدنيوية المحضة، لن يتوانى صاحبها عن الانخراط في شتى المجالات للوصول إلى هذه الغايات، وستتلقفه غالبًا الجماعات والأحزاب التي

ظاهرها الدعوة وباطنها العمل السياسي البحت، لكونه سهل الانقياد والامتطاء لأهدافهم التي بينها وبين غاياته قواسم مشتركة.

وسيترتب على ذلك تحوير المنابر الدعوية لتصبح منصاتٍ لخدمة ذلك الحزب أو تلك الجماعة، ناهيك عن التخبطات المتوالية لقلة الخبرة السياسية، والأدهى والأمر انشطار العمل الدعوي وانحساره، وتقاصر الهمم رويدًا رويدًا عن الدعوة والتربية؛ بسبب انشغال أولئك الدعاة بالعمل السياسي.

وحتى لا يُصرف الحديث على غير مجراه، فالسياسة من الدين ولا يفرق بينهما إلا جاهل، لكنها ليست كل الدين، ولكل ميدان أهله ورجاله، وجدير بالدعاة إلى الله التفرغ لطلب العلم والدعوة والإصلاح، والمرابطة في الميادين التي تحتاجهم فيها الأمة، ولا يقوم مقامهم فيها غيرهم، وبهذا يحصل التوازن في الأمة بحيث يرابط كل فرد من أبنائها في الثغر الذي يناسب مؤهلاته وقدراته.

خامسًا: التصدُّر الدعوي؛ فكل من رامَ مكانةً بين الناس، ومنزلةً بين الجماهير، وارتفاعًا دنيويًا على الخلائق، وحظوةً عند الأتباع، حدَّث نفسه بالدعوة والإصلاح، واقتحم ميادينها دون سلاحٍ وبلا عتاد، وانبرى لما أُرسل به أنبياء الله دون تقويم لمنهجٍ، ولا ارتقاءٍ بأسلوب، ولا فهمٍ صحيحٍ للنصوصِ، فتجده بعيداً تمام البعد عن منهاج النبوة، حيث لم ينلْ تأهيلاً ولا تأصيلاً، وإنما دفعتْهُ الحماسة المفرطة، والرغائب الأرضية المُهلكة، يُحاول التَّسَوُر على عُرى الإسلام، ويرتقي الدنيا بالدين، ولربما هاجَمَ الثوابت والمسلمات، وانتقصَ حملة الوحي من الصحابة والتابعين، ونقضَ بعض ما أجمع عليه أُولي العلم الراسخين.

والمضـــحك المبكي أنك تجد من يلتف حوله ويُشـــيِّخه من الجهال وأهل الأهواء، ويُقدِّمه في الجُمعِ والجماعات، ويأخذ برأيه في كُبريات مسائل الإسلام، وأُمهاتُ أُصـــولِهِ العِظَام، مع تهافت قوله وضـــعف حجته في ســـنن الوضـــوء والصـــلاة – مع عظم شـــأنها – ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقد أُوتي من جهتين: من جهة جهله وعدم تأصـــيله وتأهيله، ومن جهة هَوسِـــهِ بالتصـــدُّر والرغبة في الاستحواذ على رضى الجماهير.

ولقد أدرك علماء الإســـلام الأجلاَّء خطر أولئك الصـــغار والمتطفلين على العلم والدعوة، وحاولوا اســـتنقاذ الأمة من شِـــراكِهم، وبيَّنوا عوارهم وتحريفهم للنصـوص، وأظهروا عواقب الالتفاف حولهم، فما كان من الدهماء والغوغاء من أتباعهم إلا الإعراض عن النصح كعادتهم، بل وتأييد ما يدعون إليه أربابهم من الفســـاد والإفســـاد، ولا غرو؛ فالغوغاء يقودهم الجهل المركَّب، والعاطفة البلهاء، والتاريخ شـــاهد على ضـــعف دينهم وطيش عقولهم، فهم الذين بادروا في عبادة العجل الذي دعاهم إليه الســـامري مع وجود نبي الله هارون عليه الســـلام بين ظهرانَيْهِم، بل اسـتضـعفوا نبي الله وكادوا يقتلونه كما حكى الله في كتابه الكريم، وهم الذين تسـارعوا في دم الخليفة الراشـد عثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ لذا تجدهم إلى الضـــلال والبدعة أقرب، ومن الحق والســـنة أبعد، وقد أُتُوا من جهتين: من جهة أشياخهم المتعالمين، ومن جهة جهلهم الذريع، وطيشهم اللامعقول.

فالدعاة المهووسون بالتصـدُّر والحشـود، سرعان ما يتهافت عليهم الغوغاء والجهال، ولعلَّ لله حِكَماً في ابتلاء كل منهم بالآخر ومن ذلك:﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ

ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[1].

المطلب الخامس

آثار فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه

قد يظن بعض الدعاة أن من الحكمة والعقل مسايرة الناس في توجهاتهم وأهوائهم، وعدم مخالفتهم في رغباتهم وشهواتهم، وذلك تأليفًا لقلوبهم، واستجلابًا لمودتهم، مع أن صنيعهم هذا هو عين الهلاك ومظنة الإفلاس؛ لأنهم خالفوا بذلك الأدلة الشرعية، والقواعد الكلية، وسينتج عن فعلهم مفاسد عظيمة، وآثار وخيمة، ومن أهم هذه المفاسد والآثار:

أولاً: تسلُّط الأشرار على الأخيار؛ فقد سئل النبي ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون، قال:«نعم إذا كثُر الخبث»[2]، وهذا يكون إذا عزَّ الأشرار وذلَّ الصالحون[3].

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ٣٧.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ ويل للعرب من شر قد اقترب، برقم ٧٠٥٩، ٤٨/٩، وأخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، برقم ٢٨٨٠، ٢٢٠٧/٤.

(٣) ينظر: عمد القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، ١٥٩/٢٤.

ومن أســـباب تكثير الخبث في المجتمعات تنازل الدعاة عن بعض الحق، وسـكوتهم عن بعض المنكرات، وتقاعسـهم عن واجب التوجيه والإنكار، ورويدًا رويدًا يتعايش المجتمع مع المنكرات ويتشرَّبها، ويضـعف الحق وأهله، وفي مثل هذه الظروف تصبح الأرضيةً خصبة لتوالد وتكاثر الأشرار وأهل الباطل، فتقوى شوكتهم ويتسلَّطوا، ويندفعوا لنشر شرورهم وأباطيلهم.

وإذا ما عزَّ الأشـــرار وتســـلَّطوا عَمَّ الظلم والجور، واســـتبيحت الأموال والأعراض، وانتهكت الحرمات والمقدسـات، وحينئذٍ سـيُفْقَدُ الأمْن، والتاريخ حافل بالشـواهد على ذلك، ومن أبرزها الغزو التتري للعالم الإسـلامي، حيث كان من أعظم النكبات التي مرت على الأمة الإســـلامية، واســـتمر لقرنين من الزمان تقريباً، وهو من الابتلاءات والمصـائب التي حلَّت في الأمة بما كسـبت أيديها؛ فالله تعالى لا يظلم الناس شـــيئًا ولكن الناس أنفســـهم يظلمون، ولقد ذكر ابن الأثير هذه الحادثة بعبارات تنبض حُزنًا وأسفًا حيث يقول:« لقد بقيت عدة سنين مُعرِضًـا عن ذكر هذه الحادثة اسـتعظامًا لها، كارهًا لذكرها، فأنا أقدِّم إليه رِجلًا وأؤخر أخرى، فمن الذي يسـهل عليه أن يكتب نعي الإسـلام والمسـلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسـيًا منسـيًا، إلا أنه حثَّني جماعةً من الأصـدقاء على تسـطيرها وأنا متوقِّف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يُجدي نفعًا، ولو قال قائل: إن العالَم منذ خلق الله عز وجل أدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقًا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها، ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعلَهُ بخْتصَّـــر ببني إسرائيل من القتل، وتخريب البيت المقدَّس، وما البيت المقدَّس بالنسبة إلى

ما خرَّب هؤلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس، وما بني إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا! فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إســـرائيل، ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالَم، وتفنى الدنيا إلا يأجوج ومأجوج»[1].

إذاً فتخلِّي الدعاة عن القيام بواجب الدعوة والتوجيه والإنكار يؤدي إلى توالد الفساد والمفسدين، ويُسهم في تهيئة الظروف المناسبة لتماديهم في فسقهم وفجورهم، حتى يسيطروا على المجتمعات، ويقودوا الناس وفق مسلكهم المشين، وتوجههم المعوج، وفي مقابل ذلك ينسحب بساط الأثر والتأثير من أهل الدعوة والفضل؛ فيصبحوا منعزلين عن الناس، ومغمورين بتصدر أهل الباطل والفساد، حتى لا يبقى لهم سوى النزر اليسير من الإصلاح والتغيير، وهذا كله بسبب تقهقر الدعاة عن القيام بمسؤولياتهم الشرعية، وتنازلاتهم عن الصدح بالحق والدعوة إليه.

ثانيًا: غربة الإســـلام وتخبط الأمة؛ فلقد عاش المســـلمون في قوةٍ وعزةٍ ومنعةٍ، بسبب قيام دعاتهم بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبمجرد تخلِّي أولئك الدعاة عن هذا الواجب العظيم وتقصـــيرهم في شـــعائره ومعالمه؛ وتقاعسهم عن الصدح بالحق، وتنازلهم عن بعض القيم والمبادئ الشرعية طلبًا لرضى الخلق واستسلام لأهوائهم؛ دبَّ فيهم التخبط والهوان قرنًا بعد قرن، وجيلاً بعد جيل؛ حتى آل بهم الأمر إلى تضـــييع الفرائض، وهجر الســـنن، وارتكاب

(١) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ٣٥٨/١٢.

الفواحش والآثام، ولا غرو؛ فالمنكر إذا شاع ولم يحارب شبَّ عليه الصغير، وشاب عليه الكبير، حتى يصبح النهي عنه بعد ذلك مستنكرًا، والحديث حول مواجهته وخطره مستغربًا، مما يسهم في سوق المجتمعات المسلمة إلى مشابهة اليهود في صفاتهم المنكرة، التي استحقوا بها اللعن على لسان بعض أنبيائهم والعياذ بالله، ولقد وصف القرآن حالهم، وشنَّع عليهم فعلهم في قوله تعالى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾(١)، ومن كان هذا حاله أصبح من أبعد الخلق عن تصوّر الحق فضلاً عن طلبه وإرادته والتزامه.

وبهذا يُعلم فداحة وشناعة متابعة أهواء الناس ورغباتهم من قبل بعض الدعاة؛ فكلما قاربت الأمة هذه الصفة اليهودية ازداد تخبطها، وقويت غربتها، وعظمت حيرتها؛ حتى يتساقط أفرادها في البدع والضلالات والأمور المهلكة وهم لا يشعرون؛ ويصبحوا كأعمى خرج في ظلمة الليل يمشي وحده بلا قائدٍ ولا دليل(٢).

ثالثًا: الرجوع إلى حكم الجاهلية؛ فلقد وبخ الله اليهود والمشركين في تجاوزهم لحكْمِهِ، وتحاكمهم إلى القوانين الجاهلية الجائرة، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ

(١) سورة المائدة، الآية ٧٩.

(٢) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، لابن القيم، ٣٥/١.

يُوقِنُونَ﴾[1]، والمعنى: أفحكم الجاهلية يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون، ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه، وآمن به، وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء[2].

فتأمل هذه الآية الكريمة وكيف دلت على أن قسمة الحكم ثنائية، وأنه ليس بعد حكم الله تعالى إلا حكم الجاهلية؛ فمن أعرض عن الأول أُبتلي بالثاني المبني على الجهل والظلم والغي، ولهذا أضافه الله للجاهلية، وأما حكم الله تعالى فمبني على العلم والعدل والقسط والهدى، والموقن هو الذي يعرف الفرق بين الحُكْمين، ويميز بإيقانه ما في حكم الله من الحُسن والبهاء، وأنه يتعين – عقلاً وشرعًا– اتباعه[3].

يقول ابن القيم رحمه الله:« فأخبر سبحانه وتعالى أنه ليس وراء ما أنزله إلا اتباع الهوى الذي يضل عن سبيله، وليس وراء حكمه إلا حكم الجاهلية، وكل هذه الآراء والمعقولات المخالفة لما جاء به الرسول ﷺ هي من قضايا الهوى وأحكام الجاهلية، وإن سماها أربابها بالقواطع العقلية والبراهين اليقينية؛ كتسمية

(١) سورة المائدة، الآية ٥٠.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١١٩/٣.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ٢٣٥/٢.

المشركين أوثانهم وأصنامهم آلهة، وتسمية المنافقين السعي في الأرض بالفساد إصلاحًا وإحسانًا وتوفيقًا»[1].

ويُستنتبط من ذلك أن من تنازل من الدعاة عن بعض الحق، وخرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من آراء الناس وأهوائهم، ورغباتهم التي ينشدونها، والاصطلاحات التي يضعونها بلا مستند شرعي، كان كأهل الجاهلية الذين يحكمون بالضلالات والجهالات التي تُصاغ وفق آرائهم وأهوائهم.

رابعًا: فقدان الدعوة لروحها وجوهرها؛ فهناك جملة من المآخذ والممارسات التي يقع فيها بعض الدعاة عن قصد وبغير قصد، تُفقد الدعوة جوهرها، وتصبح الرسالة الدعوية بسببها جوفاء، ومن ذلك أن يتحول الوعظ والتذكير، والأمر والنهي إلى ما يطلبه المشاهدون والمستمعون، من غرائب القصص والحكايات، حتى أصبح ذلك سمة غالبة عند بعض الدعاة، مع الإكثار من الكلام الإنشائي المرسل، وتكلُّف السَّجع وسَبْكَ الألفاظ، والابتعاد التام عن المنهج النبوي في الدعوة والإصلاح.

يقول ابن قتيبة رحمه الله عن أمثال هؤلاء:« فإنهم يُميلون وجوهَ العوام إليهم، ويَستدِرُّون ما عندهم بالمناكير والغريب والأكاذيب من الأحاديث، ومن شأن

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، ٣/١٠٤٦.

العوام القعودُ عند القاص ما كان حديثه عجيباً خارجاً عن فِطَر العقول، أو كان رقيقاً يُحزن القلوب، ويَستغزِر العيون»[1].

وعلى صعيد آخر تجد بعض الدعاة يُعمل النصوص الشرعية في بعض الخيالات العلمية، ويروج بعض الأكاذيب المدهشة على أنها حقائق ثابتة، بل أصبح بعضهم لا يستشهد بنصوص الوحيين إلا بحسب هذه المنطلقات.

ومن المآخذ كذلك أن بعض الدعاة اتخذ من خطبة الجمعة منبرًا اقتصاديًا، ولقاءًا تفاعليًا، وموجزًا إخباريًا، وترك المساحة الهائلة من التعاليم الربانية، والوصايا النبوية، والمسائل الشرعية، إلى مثل هذه الزوايا الضيقة التي ليس هذا موطنها، ولا مصلحة شرعية في تناولها.

ومن الممارسات الخاطئة التي يقع فيها بعض الدعاة أيضًا تغليب أحد جانبي الترغيب والترهيب حتى يستغرق سائر خطابه، فتجده يميل تجاه أحدهما على الدوام، مع الإطالة والإطناب والمبالغة في ذلك، ويبني طريقته وأسلوبه بحسب ردود أفعال المدعوين بعد مواعظه ومحاضراته، فيميل حيث مالوا، وهذا بلا شك مخالف لما جاء في مواعظ القرآن والسنة، حيث جاء الجمع والموازنة بين الترغيب والترهيب في جملة من المواضع الثابتة في الكتاب والسنة.

كما لا يخفى غياب جانب القدوة الحسنة عند بعض الدعاة فتجده يقول مالا يفعل، ويأمر بما لا يأتي، فيتحدث عن حق الجار وهو ممن يؤذي جيرانه،

---

(١) تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، ٢٧٩/١.

ويحاضر عن الظلم وقد وقع فيه، وينادي بالتسامح ولا يطبقه، وهذا بلا شك مما يسلب الدعوة جوهرها وروحها والله المستعان.

يقول الراغب الأصفهاني رحمه الله:« فحق الواعظ أن يتعظ ثم يعظ، ويُبصر ثم يُبَصِّر، ويهتدي ثم يهدي، ولا يكون كدفتر يفيد ولا يستفيد، وكَمَسَنٍّ يشحذُ ولا يقطع، ويجب أن لا يجرح مقاله بفعاله، ولا يكذب لسانه بحاله، فيكون ممن وصفهم الله تعالى بقوله:﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥﴾»[٢].

والعجيب أن ما سبق ذكره من مآخذ قد لا يتنبَّه له بعض الدعاة لوقوعه تحت نشوة الحشود الغفيرة، والحضور الكثيف، والجمهور الواسع، مما يجعله يسعى جاهدًا في كسب مودتهم، ولو آل به الأمر إلى التسامح مع أهل البدع، والتنازل عن شيء من المنكرات.

خامسًا: اتباع الهوى: فإذا تقاعس الداعية عن الوظيفة الشرعية المنوطة به، وأخذ يستجيب لرغبات الجماهير في الأمر والنهي، ويتنازل عن القيم والمبادئ وفق أهواء الناس؛ ويتقاعس عن مقاومة الفساد والمنكر؛ أصبح متعطشًا لتحقيق مآربه الشخصية، وحظوظه الذاتية من خلال حظوته ومكانته

(١) سورة البقرة ، الآيتين ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني ١/١٨٤.

لدى الجمهور، ومن خلال ما يُبادلُهُ به الجمهور من هِبات وعطايا؛ حتى يصبح الهوى هو من يقوده ويدفعه إلى العمل.

وإذا سقط الداعية في اتباع ما تهواه نفسه وتطلبه ذاعت روح الأنانية لديه، وأصبح متطلعًا لتحقيق مآربه الشخصية، ومتعصبًا لرأيه ومعاديًا لمن يخالفه؛ لأن الحق ليس مراده ومبتغاه ، وإنما هدفه يدور مع هواه وما يسعى إليه من رغبات وأهداف، وهذا بلا شك أحد أسباب الزيغ والضلال؛ فالهوى يعمي الداعية ويصمه، فتجده لا يستحضر ما كان لله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله؛ وإنما يتحصل رضاه بتحقق ما تهواه نفسه، ويغضب بفوات ما تُؤَمِّله نفسه، قال تعالى على سبيل الذم: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾[1]، أي: يتبعون الظن وما تميل إليه نفوسهم وتشتهيه من غير التفات إلى ما هو الحق الذي يجب اتباعه والانصياع له[2].

ويتبين من ذلك أنه إذا تقاعس الدعاة عن القيام بواجبهم في الدعوة والإصلاح، وصاروا إلى أهواء الناس ورغباتهم؛ ابتلاهم الله بالابتعاد عن الحق ومخالفته، والسعي خلف أهوائهم وملذاتهم، والتضحية في سبيل ذلك بجميع القيم والمبادئ الإسلامية العظيمة.

---

(١) سورة النجم الآية ٢٣

(٢) ينظر: فتح القدير، للشوكاني، ١٥٥/٥، مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٣٨٤/٣، منهاج السنة ١٣٣/٥.

المطلب السادس

سبل مواجهة فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه

إن الناظر في أحوال الدعاة يدرك بشريتهم وعدم عصمتهم، ويتبين له شدة حاجتهم إلى التقويم والتحسين، والنصح والتذكير حينًا بعد حين، ولا أضرَّ على الداعية من اعتقاده بلوغ منزلة الكمال والتمام، ولقد رسمت نصوص الكتاب والسنة للدعاة سُبُلاً متعددةً للنهوض والارتقاء بالنفس والدعوة، وخطت لهم عشرات الأساليب التي تُزكِّيهم وتُصحِحُ مسارهم، ومن وقع في فتنة الاستسلام لأهواء المدعوين ورغباتهم ليس في منآى عن ذلك الخير العميم ما لم يُغرغِر، كيف لا وقد كتب ربنا على نفسه الرحمة، وجعل التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ومن أهم سبل مواجهة السقوط تحت وطأة الجمهور الآتي:

أولاً: القوة الإيمانية: فالدعاة إلى الله هم طليعة صلاح الأمة، وأَدِلاَّءٌ للناس على ربهم، وصروحٌ لنشر الخير والهدى والاطمئنان بين الناس، ولذا وجبت العناية بإعدادهم إيمانيًا بحيث يستطيعوا مواجهة الفتن والوقوف في وجه أربابها، ومن أعظم الأصول التي يرتكز عليها الداعية في بناءه الإيماني العقيدة الصحيحة الراسخة، حيث أنها تمثل الأساس الأعظم لدين الإسلام، ولابد من أخذها على أيدي العلماء الربانيين، ومداومة النظر في المؤلفات والمتون التي تؤصل لها وتدعو إليها.

ولن تصح عقيدة تخالف منهج النبي الكريم ﷺ وتحارب سنته، وترضى بالبدع وتُدني أهلها، وأَجمعُ الإعداد الإيماني وأكمله ما كان مشتملاً على الإخلاص لله سبحانه، والمتابعة لنبيه ﷺ؛ فعمدة العمل الإخلاص، وهو وصية

الله للمرسلين، وأساس الدين وقاعدته، ولبُّ العبادة وجوهرها، وهو مسكٌ مصونٌ في القلب يُنبّهُ رِيْحُهُ على حامِلِهِ، وأما المتابعة للنبي الكريم عليه الصلاة والسلام فهي أعظم مخرج من الفتن، وأعظم مشعلٍ يهدي في الظلمات، وبمعرفة سنته ﷺ ومتابعتها يعلو الإيمان ويرتفع، وتنكشف سوآت الفتن وتنجلي، فالسنة نورٌ عظيم يهدي لها الله أولياءه، ومن فَقِهَهَا وعلِمَهَا فقد أصاب خيرًا عميمًا، ومن جهِلَهَا وأخطأَها أصاب شرًا وفيرًا(١).

ولن يرى العبد الفرق بين السنة والبدعة، ويعينه على الخروج من ظلمة البدعة إلى نور السنة إلا المتابعة للنبي ﷺ، والهجرة إلى الله بقلبه والإخلاص وصدق اللجأ إليه، والهجرة إلى سنة رسوله ﷺ بالحرص على الوصول إلى أقواله وأعماله وهديه وسنته(٢).

إذاً فلا سبيل للتعلق بالدنيا وزخرفها، والافتتان بالجماهير والسعي في مراضيهم؛ عند من كان راسخ العقيدة، قوي الإخلاص، عظيم المتابعة للمعلم الأول ﷺ؛ لأنها تكسب الداعية قوةً في الإيمان، وثباتًا على الحق، ونشاطًا في الدعوة، فلا يخاف أحدًا سوى الله، ولا يرجو من الناس ثوابًا، ولا يريد بعمله فخرًا ورياءً، وإنما يبتغي ما عند الله والدار الآخرة.

---

(١) اليواقيت الجوزية، لابن الجوزي، ص٧٧، فضل الدعوة إلى الله وحكمها وأخلاق القائمين عليها، للشيخ عبدالعزيز بن باز، ص١٤.

(٢) الرسالة التبوكية، لابن القيم، ص٥٢.

ثانيًا: القوة المنهجية، فمنهج أهل الحق ثابت لا يتزعزع ولا يتغير؛ لأنه قائم على منهاج النبوة، وما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام، بخلاف المناهج الضالة التي تتبدل يومًا بعد يوم؛ لأنها استعاضت الكتاب والسنة بآراء الرجال، إضافةً إلى ما تُمليه عليهم اجتهاداتهم الناقصة، ولربما احتجوا على صحة منهجهم بكثرة الأتباع، وغفلوا عن أن الأكثرية ليس لها اعتبار في ميزان الشرع، وأن المقياس الحقيقي في التأثير هو القدرة على ردُّ الناس إلى الجادة الصحيحة وفق منهاج النبوة، وليس بكثرة الحشود والأتباع؛ لأن الأكثرية الغالبة عبر التاريخ هم الأقل ديانةً وهدايةً، وطاعةً ورشداً، وأكثر الناس لا يؤمنون، ولا يعلمون، ولا يعقلون، وأكثرهم للحق كارهون، كما صرحت بذلك آيات القرآن الكريم(١).

ومن آكد معالم منهج أهل الحق، البداءة بالدعوة إلى التوحيد والعناية به، وحماية جنابه من مظاهر الشرك وما كان ذلك منهم بدعًا من القول، وإنما هم سائرون على ما بعث الله به أنبيائه عليهم السلام، فهم أول من دعا إلى التوحيد وحضَّ عليه وتمسك به، ولقد توالت الأدلة في هذا السياق، منها قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾(٢)، وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ

(١) ينظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، لناصر العقل، ص٦٧، حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب، لبكر أبو زيد، ص٦٠، بتصرف.

(٢) سورة النحل، الآية ٣٦.

رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[1]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[2].

والمتأمل في الواقع اليوم يرى شدة حاجة الناس إلى معرفة العقيدة الصحيحة وما يضادها ويقدح فيها، مما علق بعقائد الكثير من الشرك والبدع والخرافات والأوهام، فالتوحيد لبُّ العقيدة، وهو أول وآخر واجب على المسلم[3].

ومتى ما انطلقت الدعوة إلى الله تعالى من منهج قويم، وسَلِمت من القوادح والصوارف المهلكة، وعُرضت عرضًا صحيحًا وفق مراد الله ورسوله؛ اكتسحت سائر الدعوات الهدامة وأبطلتها، وبات دعاتها ثابتون راسخون أمام أمواج الرغبات الإنسانية والدوافع الشخصية، وأصبحوا في منعةٍ من الفتنة – بعد مشيئة الله– عند مواجهة أهواء الناس وشهواتهم؛ فحري بالدعاة إن أرادوا الأثر والتأثير في الدنيا، والنجاة والفوز في الآخرة؛ أن يتمسكوا بمنهاج النبوة، ويعضُّوا عليه بالنواجذ.

ثالثًا: القوة العلمية: فأي داعية أهمل العلم الشرعي، وقامت دعوته على الجهل فلن يكون له تأثير يُذكر؛ فإما لا يقع لدعوته تأثير ابتداءً؛ وذلك لجهله

---

(١) سورة النحل، الآية ٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٥.

(٣) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص٧٥ .

بما يؤثر في القلوب من كلام الله وكلام رسوله وأهل العلم، وإما أن يقع له تأثير آني أو حالي أو وقتي؛ فيتأثر به فئام من الناس من طغمة الجهَّال ورعاع البشر، فإذا سَمتْ مداركهم وزادت معارفهم زهدوا فيه، واحتقروا ما لديه من بضاعة(١).

وكلما كان الداعية متضلعًا في العلم مستبحرًا فيه، رسخ الإيمان في قلبه، وقَوِيَ الثبات عنده، وتوقَّدت التَّضحية في سبيل الله لديه، وظهر عنده تصورٌ صحيح لطبيعة الطريق الدعوي، وما يعتليه من مشاق وفتن؛ فلا يؤثر فيه انصراف الناس عنه، أو عدم إجابتهم له، لعلمه الراسخ أن المطلوب منه إبلاغ الدين وفق منهاج النبوة، أما الهداية فلا يملكها سوى الله عز وجل، فقد أمر الله نبيه ﷺ والأنبياء والرسل من قبله بالبلاغ ولم يأمرهم بغيره، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾(٢) وقوله سبحانه:﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾(٣)، كما بين سبحانه أن الهداية بيده وحده، وذلك في قوله جل وعلا:﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾(٤).

---

(١) ينظر: أثر العلم في الدعوة إلى الله تعالى، لمرزوق اليوبي، ص١٦٥، بتصرف.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ١٨.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٢٥.

(٤) سورة الشورى، الآية ٤٨.

كما أن القوة العلمية تُولّد لدى الداعية القدرة على تحمل المعارضة والمعاندة، لعلمه أن جميع الدعاة يُعارضون، وعلى رأسهم رُسل رب العالمين، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[1].

وبالعلم كذلك يقف الداعية شامخًا أمام سيل الاغراءات، فمهما أُعطي في سبيل تنازله عن بعض الحق أو موافقة أهل الباطل أعرض عن ذلك بعزَّةٍ وشموخٍ؛ فأعداء الدعوة يحاولون صدَّ دعاة الحق وفتنتهم، حتى ولو كان بتقديم بعض ما يملكون؛ وذلك خوفًا من تعرُّض مصالحهم للخطر، وكما لا يصدُّه الإغراء لا يصده التهديد والوعيد؛ لعلمه أن أعداء الدعوة إذا ما فشلوا في صرف الدعاة عن دعوتهم بالإغراء المادي، لجأوا إلى البطش والإيذاء الحسي والمعنوي بالقول والفعل.

إذاً فالقوة العلمية القائمة على المنهج القويم سبيل للسير على طريق الثبات أمام الفتن والمغريات، وسبيل للاستمرار في الدعوة إلى الله تعالى، بحيث يصبح الداعية على علم بالطريق الآمن الذي يحقق له السعادة فهو يسلكه راضيًا مطمئنًا، ولو عَرَضَ له ضرر مؤقت فإنه يعلم أن العاقبة محمودة، كما يزيده ذلك انصرافًا وورعًا عن الطريق الفاسد وإن كان فيه نفع ماديٌ ولذَّةٌ مُؤقتة[2].

---

(١) سورة القصص، الآية ٥٦.

(٢) ينظر: أثر العلم في الدعوة إلى الله تعالى، لمرزوق اليوبي، ص٢٠٩ وما بعدها، بتصرف.

رابعًا: القوة الاصْـــطِبارِيَّةُ: فإن الدعاة إلى الله تعالى هم أئمة الناس في الهدى والخير؛ فهم الذين يبلغون رسالات ربهم، ويدعون إلى كل خير، وينهون عن كل شـــر، ولن تتحقق لهم هذه الإمامة إلا بالصـــبر واليقين، كما قال تـعـالـى:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[1]، فجعل الإمامة في الدين موروثة عن الصـــبر واليقين، فإن الدين كله علمٌ بالحقِ وعملٌ به، والعمل به لابدَّ فيه من الصـــبر، بل وطلبُ عِلْمِهِ يحتاج إلى الصبر[2].

ولقد كان النبي ﷺ من أشـد الأنبياء صـبرًا ومصـابرةً، وللدعاة فيه أسـوة وقدوة، ويكفي في الدلالة على منزلة الصبر أنَّ نبي الهدى عليه الصلاة والسلام قال فيه:«وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسـع من الصـبر»[3]،فما مَنَّ الله على أحد بعطاء من رزق أو غيره؛ خيراً وأوسـع من الصـبر؛ لأن الإنسـان إذا كان صبوراً تحمل على كل شيء، إن أصابته ضراء صبر، وإن خذله الشيطان عن أمر الله صبر، ولذلك تجد الإنسان الصبور لو أوذي من قبل الناس، لو ساوموه

(١) سورة السجدة، الآية ٢٤.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٣٩/١٠.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الزكاة،، باب الاستعفاف عن المسألة، برقم ١٤٠٠، ٥٣٤/٢، وأخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب التعفف والصبر، برقم ١٠٥٣، ٧٢٩/٢.

على دينه، لو سمع منهم ما يكره، تجده هادي البال، لا يغضب ولا يضجر، فقلبه مطمئن ونفسه مستريحة[١].

فالدعاة إلى الله تعالى مطالبون بالاتصاف بخلق الصبر في دعوتهم بجميع مراتبه، فلا بد للداعية أن يكون صابرًا في جميع أحواله، وهو أعمّ الأوصاف له في هذا الباب، وأن يكون مصطبرا؛ أي: مكتسبًا للصبر، ومتصبرا؛ أي: متكلِّفًا الصبر حاملاً نفسه عليه، وصبورًا؛ أي: أن صبره أشد من صبر غيره، وصبارًا؛ أي: شديد الصبر وإن تكررت المواقف عليه[٢].

وجميع ما سبق فيه دلالة قاطعة على أن الصبر ومجاهدة النفس من آكد السبل وأهمها في مواجهة المصالح الذاتية، والرغائب الدنيوية التي تعترض للداعية في مسيرته، فبالصبر تُمحَّص النفوس، وتُستجلى النيَّات، وتُستوثق المراقبة الحقَّة لله، وبه يُتوج الداعية بتاج الثبات على الدين، والقدرة على مواجهة أهواء الناس أجمعين؛ ولا غرو فالدعاة محتاجون للصبر في ميدان النفس وميدان الدعوة، فهم يجاهدون أنفسهم فيحملونها على الطاعة، ويمنعونها من المعصية، ويجاهدون الجماهير حال إذاعتهم للدعوة وعرضها عليهم، وكل من

(١) ينظر: شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ١٩٦/١.

(٢) لزيادة التفريق بين مراتب الصبر، ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، ٣٧٦/٣.

حمل لواء الدعوة بلا صبر فالنتيجة الحتمية لأمثاله الاستسلام والفشل والانقطاع[١].

خامسًا: القوة الشخصية: فإن صفة الشجاعة من الصفات اللازمة للدعاة، لئلا يجبن أو يخاف حال ممارسة الدعوة فلا تُكتسب المكارم، ولا تُجتنب المكاره، بمثل الشجاعة وقوة القلب؛ «فبقوة القلب يُصاب امتثال الأوامر، والانتهاء عن الزواجر، وبقوة القلب يُصاب اكتساب الفضائل، وبقوة القلب يُنتهى عن اتباع الهوى والرذائل، وبقوة القلب تنَّفذ كل عزيمةٍ أوجبها الحزم والعدل»[٢].

وقد استعاذ النبي ﷺ من الجبن قائلا:« اللهم إني أعوذ بك من الْجبْنِ»[٣]، مما يدل على أنه صفة ذُنُوّ ونقص، كما امتدح المؤمن القوي، مما يدل على أن القوة صفة عُلُوّ وحُسن، وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام:« المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير... »[٤].

يقول النووي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث:« المراد بالقوة هنا: عزيمة النفس، والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد، وأسرع خروجا إليه وذهابًا في طلبه، وأشدُّ عزيمةً في الأمر

(١) ينظر: تذكرة الدعاة، للخولي، ص٢٦٦، وأسس الدعوة وآداب الدعاة، للجزائري، ص١٠٣، بتصرف.

(٢) سراج الملوك، للطرطوشي، ٦٦٨/٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجبن، برقم ٧٢٠٠، ٢٠٤/١٣.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب في القوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، برقم ٤٩٤٥، ٢٠٥٢/٤.

بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاقِّ في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم وسائر العبادات، وأنشط طلبًا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك»(١).

إذًا فلا يليق بالدعاة أن يتقاعسوا عن الجرأة في الحق، ويرضوا الدَّنية في دينهم، فهذه الصفة هم بها أَلْيَقُ وأَلصَق، وهي مما يُعينهم على الاعتزاز بالدين، وعدم الاستسلام لأهواء الناس وشهواتهم، بحيث لا يخشون في الله لومة لائم، ولقد أمر الله نبيه بالصدع بالحق، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(٢)، كما وصف أولياءه بقوله:﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ ﴾(٣)، وقد أخذ النبي ﷺ البيعة من الصحابة الكرام على ذلك، ففي الحديث الصحيح:« وأن نقول بالحق حيث كان، ولا نخاف في الله لومة لائم »(٤)، ومن أعظم الشواهد المتعلقة بهذا الشأن في تاريخ الأمة، ثبات الإمام أحمد رحمه الله في فتنة خلق القرآن، فلولا الله ثم شجاعته وقوة شخصيته وجرأته في

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ٢١٥/١٦.

(٢) سورة الحجر، الآية ٩٤.

(٣) سورة المائدة، الآية ٥٤.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، برقم ٢٦٦٧، ١٠٣٨/٣.

قول الحق؛ لســاد القول بخلق القرآن لا ســيما بين العوام، ولقد ســطَّر بطولات خالدة في المدافعة عن كتاب الله، حتى ظهر الحق وخسر هنالك المبطلون[1].

(١) للاستزادة حول محنة الإمام، ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ٣٦٠/١٠، سير أعلام النبلاء، ٣٥٥/١١، مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي، ص٣٠٠.

الخـــاتـــمـــة

الحمد لله عدد ما غرد طير وطار على أن يســـر وأعان على إتمام هذا البحث، وأسأله بمنه وكرمه أن يجعله خالصًا متقبلاً إنه ولي ذلك والقادر عليه، هذا وقد أسفر البحث عن عدد من النتائج، وجملة من التوصيات، والتي يمكن بيانها من خلال الآتي:

أولاً: أهم النتائج:

١-شدة خطر فتنة استمالة الجمهور على الدعاة إلى الله.

٢-تعدد النصوص المحذرة من فتنة استمالة الجمهور، وغفلة بعض الدعاة عنها.

٣-حُسن النية لا تكفي في صحة العمل وقبوله، بل لابد أن يكون العمل صوابًا وعلى منهاج النبوة.

٤-انطلاق بواعث فتنة استمالة الجمهور من التعلق بالدنيا والركون إليها.

٥-تنوع مظاهر فتنة استمالة الجمهور وكثرة الانزلاقات المنهجية فيها.

٦-كثرة آثار فتنة استمالة الجمهور على الدعوة والدعاة وشدة ضررها.

٧-نجاة الدعاة من فتنة استمالة الجمهور تتلخص في رجوعهم إلى نصوص الوحيين والتزامهم بها.

ثانيًا: أهم التوصيات:

١-إقامة المؤتمرات والندوات التي تعالج أحوال الدعاة وترتقي بهم.

٢-إثراء البحوث المتعلقة بالدعاة بالمشكلات المعاصرة وإيجاد الحلول الشرعية لها.

٣-حث الدعاة على التعاون فيما بينهم لإيجاد الحلول العلمية المناسبة للضغوط الجماهيرية.

٤-ربط الدعاة بالعلماء الراسخين، والذي يمكنهم من تجاوز مثل هذه العقبات.

٥-مناصحة الدعاة حينًا بعد آخر بحيث تكون المناصحة متسمةً بالأدب والوضوح والشَّفافية.

٦-معالجة أخطاء الجمهور، والسعي في تحررهم من العاطفة، وربطهم بالشريعة لا الرجال.

٧-رفع كفاءة الدعاة وتأهيلهم لئلا يقعوا في مثل هذه المنزلقات الخطيرة

.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١. أثر العلم في الدعوة إلى الله تعالى، د. مرزوق بن سليم اليوبي، دار ابن الجوزي، ط١ ١٤٢٨هـ.

٢. الإستغاثة في الرد على البكري، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: عبدالله بن دحين السهلي، دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

٣. أسس الدعوة وآداب الدعاة، للشيخ أبي بكر الجزائري، مطبعة السفير، الرياض،ط١، ١٤١٠هـ.

٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي الجكني، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة ط١، ١٤٢٦هـ.

٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وآدابه، خالد السبت، مؤسسة البيان، ط١، الرياض، ١٤١٥هـ.

٦. البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: عبدالله التركي دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٧. بدائع الفوائد، لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، عالم الفوائد، مكة المكرمة.

٨. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروز ابادي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢١هـ.

٩. تأويل مختلف الحديث، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق : سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، طبعة دار بن عفان.

١٠.تذكرة الدعاة، للبهي الخولي،دار النفائس، بيروت، ط٦ ،١٣٩٩هـ

١١. تفسير البغوي (معالم التنزيل)، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق:محمد عبد الله النمر عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٢.تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٣.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٤.جامع البيان عن تأويل أي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٥.الجامع لإحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

١٦.حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، لبكر بن عبدالله أبو زيد دار ابن الجوزي، الدمام، ط٣، ١٤١٣هـ.

١٧.حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ.

١٨.الداء والدواء (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي)، لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، تخريج: زائد بن أحمد النشيري عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٩هـ٥ .

١٩.الذريعة إلى مكارم الشريعة، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢٠.الرسالة التبوكية، لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مكتبة المدني، جدة.

٢١.السبيل في فقه الدعوة وكيفية الوعظ بالدليل، أبو إسلام صالح بن طه عبدالواحد مكتبة الغرباء، الأردن، عمان ط١، ١٤٣٢هـ.

٢٢.سراج الملوك، أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي، المطبعة الأميرية، بولاق، ط١، ١٢٨٩هـ.

٢٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، ط١، **١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م**

٢٤.سنن ابن ماجه، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٢٥.سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ.

٢٦.شرح العقيدة الطحاوية، لمحمد بن علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق: د. عبدالله عبدالمحسن التركي، شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ.

٢٧.شرح رياض الصالحين، للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن، الرياض ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٨.شرح رياض الصالحين، للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن، الرياض ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٩.شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن علي بن بطال، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض ط٢، ١٤٢٣هـ.

٣٠.شرح صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٣١.صحيح البخاري (ومعه صحيح الباري)، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح: محب الدين الخطيب، تعليق:عبد العزيز بن باز دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٣٢.صحيح سنن ابن ماجه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣٣.صحيح مسلم بشرح النووي للحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٣٤.الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٥.ضعيف سنن ابن ماجه، للألباني، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣٦.علم الدعوة إلى الله تعالى دراسة تأصيلية، لمحمد سعد الشهراني، مكتبة دار المنهاج، ط٢، ١٤٤٠هـ

٣٧.عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين محمود بن أحمد بن العيني الحنفي دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٨.فتاوى نور على الدرب، للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ترتيب وإشراف د. محمد بن سعد الشويعر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ط١ ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٣٩.فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن باز، دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩هـ.

٤٠.فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت (بدون).

٤١.فضل الدعوة إلى الله تعالى وحكمها وأخلاق القائمين عليها، للشيخ ابن باز، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ.

٤٢.فقه الأدعية والأذكار، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، دار المنهاج، الرياض.

٤٣.الفوائد، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، المكتبة القيمة، مصر، ط١ ،١٤٠٠هـ.

٤٤.الكامل في التاريخ، لعلي بن أبي الكرم بن الأثير الجزري، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٤٥.لسان العرب،محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٤٦.مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات المعاصرة منها، للدكتور ناصر العقل، دار الوطن للنشر، ط١.

٤٧.مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد، دار عالم الكتب، الرياض.

٤٨.مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣ ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٤٩.المرشد في كتابة الأبحاث، حلمي فوده، وعبدالرحمن صالح، دار الشروق، جدة، ط٦ ١٤١١هـ .

٥٠.مناقب الإمام أحمد بن حنبل، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي تحقيق: د. عبدالله التركي، د.علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، مصر، ط١ ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٥١.مناهج البحث وتطبيقاتها، مقداد يالجن، دار عالم الكتب-الرياض- ١٤١٩هـ.

٥٢.مناهج البحث، أحمد خيري، جابر عبدالحميد، دار النهضة العربية-القاهرة- ١٩٩٦م.

٥٣.موسوعة البحوث والمقالات العلمية، علي بن نايف، بترقيم المكتبة الشاملة.

٥٤.اليواقيت الجوزية في المواعظ النبوية، لابن الجوزي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	٢٩٨٧
Research Summary	٢٩٨٨
المقدمة	٢٩٨٩
أهمية البحث وأسباب اختياره وأهدافه ومشكلة البحث وتساؤلاته	٢٩٩١
حدود البحث ومصطلحات البحث المبهمة والدراسات السابقة وخطة البحث	٢٩٩٣
منهج البحث	٢٩٩٦
المطلب الأول: النصوص المحذرة من فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه	٢٩٩٧
المطلب الثاني: الشُّبة المتعلقة بفتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه	٣٠٠٣
المطلب الثالث: بواعث فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه	٣٠٠٩
المطلب الرابع: مظاهر فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه	٣٠١٥
المطلب الخامس: آثار فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه	٣٠٢١
المطلب السادس: سبل مواجهة فتنة استمالة الجمهور والسعي في مراضيه	٣٠٣٠
الـــخـــاتـــمـــة وأهم النتائج	٣٠٤١
أهم التوصيات	٣٠٤٢
قائمة المصادر والمراجع	٣٠٤٣
فهرس الموضوعات	٣٠٥٠